20000413-00030-1

ربع قرن على ١٣ نيسان.. أي مقدار من الابتعاد حقّقنا عن ذلك اليوم؟

ماذا أقول لطفلي عما حدث في ١٣ نيسان؟

الحرب راسخة في الذاكرة. الحرب صور تُبعث في الذهن وتتحرك، وأكثر الأحيان نحاول طردها الى ظلمة النسيان، نحن لا نحتمل ذكر الحرب فكيف نُقدم على ذكرها لأطفال فضوليين لاينفكون يسألون كلّما طالعهم بناء مدمرّ أو معاق فقد أحد أطرافه، أو طفل بلا أبوين أو أم ماتزال تبكي بعد خمس وعشرين سنة مرّت على مأساتها:

ماذا نقول لهم؟

الجواب في حوار موسّع مع ثلاث سيدات:

أستاذة الإرشاد النفسي في الجامعة اللبنانية كلية الآداب، الدكتورة نجاة ابراهيم، وأستاذة العلوم السياسية وعضو في لجان تأليف كتب التربية المدنية والتنشئة الوطنية، الصادرة عن المركز التربوي للبحوث الدكتورة فاديا كيوان، وسيدة اعمال وربة منزل هي جومانة معلوف شلفون.

علا مكي

السيدة جومانة شلفون، سيدة أعمال وربة منزل وأم لولدين (١٢ سنة وه سنوات).

١ ــ هل تعتبرين ان إخبار طفلك عن سبب الحرب واجب؟ وماذا تقولين له لو سألك؟

ــ أعتقد ان الحقيقة يجب ان تقال. الأفكار الصحيحة ملزمة لكل الاعمار ويجب ان تتأصل الحقيقة في شخصيته وكيانه. أقول له الحقيقة. وهي ان غياب وعينا في الماضي جعلنا ندخل في حرب طائفية أدّت الى إنقسامات وتعصّب ورفض للآخر. وبالطبع أسهمت التدخلات الخارجية ومصالح بعض الدول وخصوصاً اسرائيل في تغذية هذه الحرب بين اللبنانيين.

٢ ــ ألا تدخله هذه الحقيقة في صراع مع الآخر؟

ــ على العكس الحقيقة تجعله يرى سلبيات الحرب وبالتالي يكرهها وينبذها، من الضروري إخباره بأن الأطراف كلها اعتبرت انها تتصرف وفق مصلحة البلد، لذلك عليه ان يتسامح ويدرك انه يجب ان يعيش مع الآخر.

٣ ــ قد يتأثر طفلك برفاقه وما يحملونه من أفكار مختلفة عن قناعاتك. فأين الحل هنا؟

ــ نحن كأهل مسؤوليتنا أولاً هي في رسم الطريق الصحيح لأولادنا. الولد في مرحلة الطفولة عادةً يتأثر بأمه لأنها مصدر الثقة الوحيدة له. كما ان قدرة التلقي لديه تكون واسعة وبالتالي فإن الافكار المقنعة هي المقبولة لديه.

٤ ــ الا تعتقدين ان هذا الوضع قد يختلف مع ابنك الاكبر لاتساع تواصله مع الآخرين؟

ــ انطلاقاً من تجربة شخصية أرى ان غياب المتابعة منذ الطفولة يؤدي الى انحراف الولد عن الطريق الصحيح، ويصعب إقناعه وتغيير معتقداته بعد ان يكبر لأنه يستقي معلوماته من مصادر منوّعة كالقراءة او النقاش مع الآخرين.

٥ ــ هل تعتبرين ان التهرب من الاجابة عن بعض الاسئلة المحرجة قد يصب في مصلحة طفلك؟

ــ من واجب الأم ان ترد لا ان تتجاهل اسئلة ابنها. وعليها مراعاة كل مرحلة من عمره والتي تتطلب اسلوباً خاصاً في الاجابة عن أسئلته. قد تضطر للمناورة احياناً لأن الحقيقة قد تصدمه. عليها ان تنتظر المرحلة التي يصير فيها قادراً على تقبل الحقيقة كلها من دون مداورة.

٦ ــ ما رأيك في التلفزيون كمصدر معلومات لطفلك؟

ــ التلفزيون حالياً لا يقدم للطفل معلومات جدية. أخبره عن بشاعة الحرب بالكلام الذي يجب ان يُدعّم بصور الدمار ليشعر بفظاعتها وينبذها. لكن ما يحدث في الواقع هو ان التلفزيون لا يقدم له الا الترفيه.

٧ ــ الا يمكن ان تكون لصور الدمار تأثيرات سلبية على طفلك؟

ــ لا أظن ذلك، لأن الولد بحاجة ان يفهم ان الحياة ليست عالماً جميلاً دائماً. هناك مشاكل مادية واجتماعية وصراعات مختلفة. وإدراكه هذه الحقيقة ضروري حتى يدخل في المجتمع لا يعيش على هامشه عندما يكبر.

● الدكتورة نجاة ابراهيم

الموضوعية والتفاؤل

الدكتورة نجاة ابراهيم: أستاذة الارشاد النفسي في الجامعة اللبنانية في كلية الآداب.

١ ــ ما هو تأثير الحرب على الأولاد؟

ــ لا شك في ان الحرب تؤثر على الأولاد. لكن هذا التأثير يختلف بين الذين ولدوا خلال الحرب، وبين الذين ولدوا بعد انتهائها، ولا يعرفون عنها شيئاً الا من خلال الاحاديث المتداولة.

٢ ــ ما الفرق في التأثيرات على اطفال الحرب وأطفال ما بعد الحرب؟

ــ التأثير على أطفال الحرب يندرج في إطار الحالات العنيفة أو المظاهر الشرسة التي يشاهدها الطفل في التلفزيون، أو ربما في الطريق، والتي تنعكس نتائجها على الصحة النفسية، خصوصاً في مرحلة التكوين والبناء. أما تأثر اطفال ما بعد الحرب فيندرج في اطار الاخبار التي ننقلها اليهم، وبأي صيغة.

٣ ــ ماذا تقول الأم لأطفال ما بعد الحرب عن أسبابها من دون ان تترك في نفوسهم آثاراً سلبية؟

ــ عندما تخبر الام طفلها عن حرب لم يعش تفاصيلها فيمكن لها أن تتحكم بما ستقوله. وهذا يتطلب وعياً كافياً من الأم التي يجب ان تكون حيادية وموضوعية قدر المستطاع في حديثها، وان تتجنب اعطاءه الآر راء التي تحمّست لها خلال الحرب. ذلك يخرج الطفل عن الاطار الزمني الذي يعيش فيه وبالتالي يدخله في صراع وتنافس مع الآخرين.

٤ ــ هل يمكن للأم ان تكون موضوعية في نظرتها الى أحداث الحرب؟

ــ مدى وعي الأم يحدد درجة موضوعيتها، اي ادراكها طبيعة مرحلة اعمارهم، وهذا يحتم عليها ان تترك مواقفها المسبقة، وتحاول ان تكون موضوعية قدر المستطاع.

٥ ــ بالنسبة للأولاد الذين ولدوا وعاشوا خلال الحرب. هل تختلف درجة الموضوعية مع هؤلاء؟

ــ الآثار سلبية بالنسبة للأطفال الذين ولدوا وعاشوا في الحرب. ويتوجب على الأم ان تعيد تفسير الامور بطريقة مفهومة يستطيعون من خلالها ان يجدوا الاجوبة على تساؤلاتهم حول الحرب. كما ان الايجابية والتفاؤل في حديث الام امر ضروري جداً، على الأم ان تعطي ولدها العبر من هذه الحرب

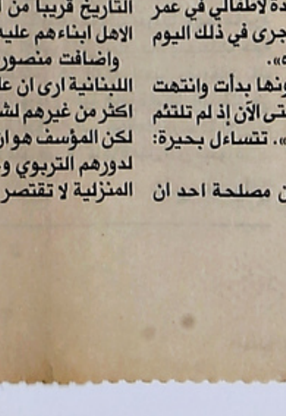

● السيدة جومانا شلفون

وتهيئه نفسياً للمساهمة في بناء مجتمع سليم.

٦ ــ في حال اختبر الطفل موت أحد الاقارب، كيف يمكن للأم ان تخفف من أثر هذا الحادث؟

ــ في هذه الحالة تكون العائلة كلها في حزن. هنا ينشد الطفل من أهله الشعور بالامان والطمأنينة. وهذا يستدعي ان يكون الاهل انفسهم يشعرون بالامان حتى يوفروه لاطفالهم. فعلياً كل الاطفال الذين ولدوا خلال الحرب هم الآن راشدون. وأي معلومات خاطئة او مواقف مؤلمة اختبروها تلازمهم دائماً اذا لم يتم التداول بها. وقد يتدخل علم النفس لإعادة تأهيل الشخصية من خلال الارشاد النفسي والعلاجات التي تتضمن دراسة لأسباب الحرب والنقاش حولها من اجل الحد من آثارها. علم النفس يقوم بمعالجة كل فرد على حدة بحسب خبرته الحياتية الفريدة، وبيئته ومستوى وعي أهله.

٧ ــ هل من الضروري وجود جمعيات او مؤسسات تعنى بتأهيل الام لمواجهة اثار الحروب والصراعات؟

ــ هناك مراكز ارشاد وتوجيه في معظم دول العالم ومثل هذه المراكز غير موجود في لبنان.

٨ ــ هل الطفل قادر على تقييم ما تقوله أمه ومقارنته مع ما يسمعه في الخارج؟

ــ ليس المطلوب ان تمنع الام طفلها عن الاحتكاك بالخارج. عندما تقوم بدورها في توجيه طفلها، تُولّد لديه مناعة تمكّنه من التقييم والمقاومة. ولذلك عليها ان تبقى على تواصل وحوار مع طفلها بحيث تسمع آرائه وأسئلته وتعطيه الاجوبة المقنعة والدلائل الحسية، لا ان تفرض رأيها بحجة حماية طفلها من الخارج، لأن ذلك يبعده عنها.

مخزون من القيم

الدكتورة فاديا كيوان: أستاذة العلوم السياسية. وعضو في لجان تأليف كتب التربية المدنية والتنشئة الوطنية التي يصدرها المركز التربوي للبحوث.

١ ــ هل يجب ان تخبر الأم أولادها عن أسباب الحرب؟

ــ هناك نوعان من الأهل: الاول هو الذي يعتبر ان الحرب حدث مروّع لدرجة انه يميل الى اخفاء سيرته عن اولاده ومحاولة إبعادهم عن اي من آثاره السلبية. النوع الثاني هو الذي يتحدث مع اولاده عن الحرب ليسلحهم بثقافة مدنية

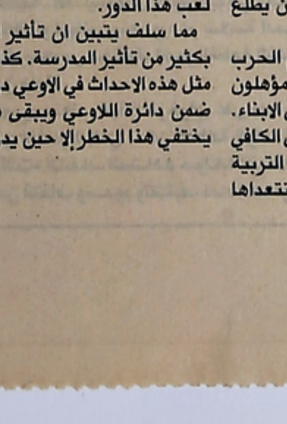

● الدكتورة فاديا كيوان

ويجعلهم بالتالي يبتعدون عن كل القيم التي أدّت الى الحرب.

٢ ــ أي من الفئتين تتصرف لمصلحة اولادها، برأيك؟

ــ مهما تمّ إبعاد الاولاد عن اي تواصل مع الحرب، فهذا لن يبعدهم عن معرفة أحداثها بوسائل مختلفة: الكتب، الصور، الافلام وحتى تجارب الآخرين. لذلك الافضل انه يعطي الاهل الاجوبة والقيم اللازمة التي استخلصوها من هذه الحرب، لأولادهم كي يبعدونهم عن اي سلوك قد يؤدي الى حرب اخرى.

٣ ــ ما هي القيم التي يتوجب على الاهل اعطاءها؟

ــ هذه القيم تتركز في ان تصف لهم كم كانت الحرب مكلفة في الارواح والمادة، واننا مازلنا ندفع ثمنها حتى اليوم. يجب ان نعطيهم افكاراً تنبذ الحرب وأهمها ضرورة تقبل الاختلاف في الافكار ووجهات النظر بين الافراد. ونفهمهم ان هناك وسائل غير الحرب للتفاوض والحوار من اجل تسوية الخلافات.

٤ ــ اذا تجنّب الاهل محادثة الاطفال عن الحرب، فهل لذلك أثر سيئ؟

ــ الاولاد الذين يعيشون حياة مثالية، بعيدة عن كل أشكال الصراعات يفتقرون الى المناعة التي تؤهلهم لمواجهة الصعوبات. الحديث عن الحرب ونتيجتها ضروري جداً كي يدرك الاولاد ان في الحياة خير وشر. ومن خلال إدراكهم هذا الشر يمتلكون السبل لمواجهته.

٥ ــ ما هي التأثيرات الخارجية المساعدة للأم في تزويد ولدها بالقيم اللازمة؟

ــ التأثير الخارجي القوي الذي نشهده في ايامنا هذه هو وسائل الاعلام خصوصاً التلفزيون. لكن التلفزيون ينقل انماطاً ثقافية وقيماً خارجة عن إطا التوجيه التربوي والنفسي الصحيح. ولا يمكن التأكد من كون هذه البرامج التي هي بمتناول الاطفال تؤثر سلباً على نموّهم الاخلاقي.

٦ ــ بما انك عضو في لجان تأليف كتب التربية المدنية فما هو دور المناهج الجديدة في عملية التنشئة؟

ــ أدخلت الى مناهج التربية المدنية والتنشئة الوطنية قيم موحدة تمّ وضعها من قبل لجان متخصصة لدى المركز التربوي للبحوث، بالتعاون مع مجموعات المتخصصين في القطاعين العام والخاص. هذه القيم موحدة لكل المدارس التي تنشر الثقافة التي قد تشكل أسس المناعة الديموقراطية، اي ضرورة تقبل الآخر، والتحاور والتفاوض. لكن هناك صعوبة في كيفية تجسيد هذه المبادئ التي اقرتها المناهج في نصوص الكتب لان مادة التربية المدنية تأتي انطلاقاً من خصوصية كل مجتمع وبحسب تقاليده وثقافته وتاريخه. في بلدٍ كلبنان يتم التركيز على استخلاص العبر والقيم المناهضة للحروب انطلاقاً من الحرب اللبنانية.

٩ ــ هل هناك محاولة لإيجاد لغة موحدة بين هذه المناهج وبين الاهل؟

ــ حصلت اتصالات من قبل عدد من لجان الأهل في المدارس تطالب بإيجاد دورات للأهل لاطلاعهم على التوجهات الجديدة والقيم الجديدة في كتاب التربية المدنية. اعتقد اننا اليوم نملك خزاناً من القيم والانتاج الثقافي الهادف الى تنمية الافكار الديموقراطية التي تمنع حدوث الحرب مرّة ثانية.

● كل عناصر اللعبة موجودة، فلتلعب (من أرشيف نبيل اسماعيل)

صباح الخير

لم أفهم ولن أفهم

سونيا بيروتي

كنت ظننتني عدت من غربتي. حين حصلت الذكرى اعادت الى رأسي كل ما طردتُ من صور، واعادت الى عقلي كل ما نظفتُ من افكار، والى جسدي كل ما انتزعت من اوجاع.

بدأت غربتي يوم ١٣ نيسان. واستمرت حتى انتهت الحرب واختفت الاسلحة وزالت مظاهرها، وان بقيت آثارها.

يوم ١٣ نيسان لم اشعر بالخوف. ولا ادعي اني تصورت ما سوف يكون ويتمدد ويطول.

كل ما احسست هو اني غريبة، او على الاصح عقلي غريب، عما جرى ويجري. كالبلهاء لم اكن أتوقع ولا حتى في احد مناماتي، ما كان يُدَبّر له وما صار يتطور ويتبلور ويستمر.

وراحت غربتي تزداد كل ساعة وكل يوم. وتتعمق غربتي مع توالي المآسي واستفحالها بين يوم ويوم.

لا افهم هذا الفريق ولا ذاك. وان أنا حاولت الفهم وأصغيت للطروحات والمبررات، بقيت طوال ايام الشؤم لا افهم الوسائل التي لجأ اليها هذا الفريق وذاك.

لم افهم، ألا توجد وسيلة للتعبير عن الاختلاف بالرأي والتباين في وجهات النظر، سوى اطلاق المدافع على رؤوس الناس وتهبيط الابنية على اجسادهم.

لم افهم كيف ان تدمير المدن واحراق القرى والقتل بلا سبب ولا ذنب، سوف يحل مشاكل المتخاصمين ويزيل اسباب الخلاف.

كنت كالبلهاء كلما ارتجف قلبي من صوت انفجار ادعو الى الله ان يقطع يد المفجر.

العنف يولد العنف.

او على الاقل اطلب ان يشلها فلا تعود تستطيع الوصول الى السلاح. هذا بعد استعادة قدرتي على التفكير ومحاسبة نفسي.

او على الاقل اطلب ان يشلها موقتاً كلما اقتربت من السلاح. هذا بعد ان اتنفس واستعيد شعوري الانساني.

تذكروا ١٣ نيسان، وفي الذكرى عبرة. او هذا ما تفترضه النوايا الحسنة. ولعل هذه النوايا ما تزال موجودة.

اما انا شخصياً، فقد رجعت الى غربتي. ولا احب ان استذكر ما يحصل وما يجري وكيفية التعاطي مع هذا الحاصل والجاري، حتى لا ألتزم غربتي ولا اعود أرجع ابداً.

ميكرو الرصيف

أمهات حائرات

رُدينة ابنة العشر سنوات تعبر عن حيرتها: «زملائي الاكبر مني يقولون الحرب بدأت في لبنان في ١٣ نيسان ١٩٧٥. وتقول المعلمة: هذه قصة ستعرفين عنها المزيد في درس التاريخ».

بدورنا حملنا السؤال الى الامهات:

هل تروين ما حصل، ام تتركين الامر لكتب التاريخ؟

صباح سوبرة (مسؤولة إعلامية في مؤسسة سيدرز للشؤون الاجتماعية)تتنهد وتقول: «أفضل لأطفالنا ان يعو الثمن الهائل الذي دفعناه في الحرب ومن الضروري ان اروي ما حصل في مثل هذا اليوم من العام ١٩٧٥. ذاك الحدث لا استطيع ان اخفيه عن ابنائي وارى ضرورة ان يعرفوا وجهة نظري فيه. لو اخبرت ابني عن ماضٍ يجهله، فلن يكون هدفي إحياء أحقاد هذا الماضي، بل اعطاء درس للمستقبل لأكسبه مناعة ضد الطائفية والخلافات المذهبية. عليّ ان ازوده بحصانة تحميه وتفرض عليه احترام الآخرين».

وتقول لميا علامة (مربية): «الكلام عن ١٣ نيسان مؤلم، افضل ان لا اذكر ذاك النهار امام ابنائي. إلا اذا رغبوا وألحوا، عندئذ اضطر الى اعطائهم بعض المعلومات. اوضح لهم ان الحرب كانت خطأ جسيماً دفعنا ثمنه من حاضرنا ومستقبلنا. وان هذا الموضوع يحمل ذكرى أليمة قد يزرع إحياؤها في فكر الاولاد انتماءات خاطئة، خصوصاً اذا كان في السرد انحياز وعلينا ان نعتمد البساطة لتسهيل الفهم على الاطفال، بحيث لا نترك تأثيراً سلبياً في نفوسهم».

وتقول نادية سطوحي (علاقات عامة): «عمر ابنتي سبع سنوات، هي لا تعرف شيئاً عن ١٣ نيسان ولا عن حرب لبنان. اسعى جاهدة لتجنب الحديث معها عن هذا الموضوع عدم اطلاعها على هذا الموضوع حالياً هو الحل الافضل برأيي، مخافة ان توقظ في نفوس الاطفال افكاراً عدوانية. سوف تعرف المزيد عن ١٣ نيسان عندما تكبر وحينها لكل حادث حديث».

راوية عبد الله (صيدلانية) تقول: «لا ارى فائدة لأطفالي في عمر السنوات الست او السبع من اطلاعهم على ما جرى في ذلك اليوم المشؤوم الذي ما زلنا نجهل الكثير من خفاياه».

«وما لا يشجع على الكلام عن الحرب هو كونها بدأت وانتهت ومعظم اسبابها لم تعالج بالشكل المطلوب حتى الآن إذ لم تلتئم جراحها وكثيرون ما زالوا مهجرين من قراهم». تتساءل بحيرة: «ماذا عساي ان اقول لأطفالي؟».

فاطمة بري (اعلامية) تقول: «ربما ليس من مصلحة احد ان يفتح جرح الماضي في هذا الوقت، الذي يجب ان نوجه فيه الانظار الى العدو الجاثم على ارضنا. ما يجب ان نطلع اطفالنا عليه هو الخطر المحدق بنا من العدو الصهيوني، قصة الصراع بيننا وبين الصهيونية، وقد تكون فيها عبرة اهم من تلك التي سيكتسبونها من روايتي لهم عما كان سبباً او بداية لحرب اهلية.

االمتخصصة في علم النفس وعلم تربية الاطفال آنا منصور حلّلت مشكلة الامهات، قالت: «يجب ان نروي لأبنائنا هذه الحادثة ونضعها في ذاكرتهم الوطنية وليس ككونها مجرد احداث مؤلمة ١٣ نيسان درس من دروس التاريخ. وعندما يكون التاريخ قريباً من الاحاسيس والمشاعر فمن الضروري ان يطلع الاهل ابناءهم عليه قبل المدرسة».

واضافت منصور: «١٣ نيسان او اي يوم آخر من ايام الحرب اللبنانية ارى ان على الاهل ان يخبروا ابناءهم عنه. انهم مؤهلون اكثر من غيرهم لشرح الوقائع بما يتناسب مع درجة وعي الابناء. لكن المؤسف هو ان قسماً كبيراً من الاهل لا يملكون الوعي الكافي لدورهم التربوي وخصوصاً في مثل هذه الحالة الدقيقة. التربية المنزلية لا تقتصر على نقل القيم والمفاهيم للابناء بل تتعداها الى دفعهم لمواكبة ما يجري من احداث معاصرة واستخلاص العبر منها».

وشددت منصور على دور الاعلام في ابراز الوقائع امام الاطفال، واوضحت انه من افرازات الحرب البشعة انها قسمت المجتمع الى طبقتين غنية وفقيرة كلاهما لا تهتم بإيضاح ما جرى لأبنائهما. اما الطبقة المتوسطة والمثقفة بنوع خاص، فهي التي تحاول قدر الامكان شرح ما جرى من خلال استغلال عرض وقائع عن الحرب في وسائل الاعلام، لمناقشة الامور وشرحها. هذه المهمة ليست سهلة بالتأكيد لأن الاهالي يحتاجون بدورهم، الى قدر كبير من الثقافة والوعي الوطني ليتمكنوا من لعب هذا الدور.

مما سلف يتبين ان تأثير العامل العائلي على الاطفال اقوى بكثير من تأثير المدرسة. كذلك ان اخطر ما في الامر هو ان تدخل مثل هذه الاحداث في الاوعي دون شرح مفصل لأن كل شيء يبقى ضمن دائرة اللاوعي ويبقى مشوشاً وبالتالي يشكل خطراً. ولا يختفي هذا الخطر إلا حين يدرس الوقائع بشكل موضوعي».

إكرام صعب